أحلام لها تاريخ

(٧)

رؤى نبوية
لنعيم الآخرة وعذابها

بقلم :
أ. د. محمد سيد أحمد المسير
أستاذ العقيدة والفلسفة
كلية أصول الدين - جامعة الأزهر الشريف

دار المعارف

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

المسير ، محمد سيد احمد .
رؤى نبوية لنعيم الاخرة وعذابها
بقلم : محمد سيد احمد المسير .
- ط ١ - القاهرة: دار المعارف ، ٢٠١٠ .
٣٢ ص ، ١٩,٥ سم ، (احلام لها تاريخ ؛ ٧)
تدمك : ٠-٧٤٠٤-٠٢-٩٧٧-٩٧٨ .
١ - الرؤيا.
٢- الاحلام فى السنة
أ- العنوان.

ديوى ١٣٥

رقم الإيداع ٢٠١٠/٣٩٤١ ٧/٢٠٠٨/١٠٠

تصميم الغلاف: أحمد عبد النعيم

تنفيذ المتن والغلاف
بقطاع نظم وتكنولوجيا المعلومات
دار المعارف

الناشر : دار المعارف – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة – ج . م . ع
هاتف: ٢٥٧٧٧٠٧٧– فاكس: ٢٥٧٤٤٩٩٩ E-mail: maaref@idsc.net.eg

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى..

أما بعد..

فها نحن أولاء قد وصلنا إلى الجزء السابع من سلسلة «أحلام لها تاريخ» بعنوان:

«رؤيا نبوية لنعيم الآخرة وعذابها».

وهذا الجزء يتضمن رؤيا واحدة لسيدنا رسول الله تكشف الغطاء عن مشاهد تحصل فى القبر أو يوم القيامة وتبين الجزاء الإلهى لأعمال قام بها الإنسان فى حياته الدنيا..

وتصف لنا الجنة ونعيمها والنار وعذابها، والملائكة وطبائعها..

ولعل القارئ الكريم قد سعد بهذه الرحلة الطويلة فى عالم الأحلام..

والله ولى التوفيق

ا. د محمد سيد أحمد المسير

هناكَ حديــثٌ طويلٌ فِى صحيح البخارى فى آخرِ كتاب التَّعبيرِ يتضمَّــنُ رؤْيَا عَجيبة رآهَا النبىُّ ، وقصَّها عَلى أصْحابهِ فِى صَباح يومٍ منَ الأَيَّام عقبَ صلَاة الفجرِ..

وكانتِ الرؤيَا ذَات شِقَّيْنِ:

شق فيه صُور لبعضِ بنى آدم غير معهودةٍ.

وشق يُعبِّرُ عَنْ هذهِ الصُّور ويفسرُ دَلَالتها.

وقدْ وَقعت الصورُ وتفسيرهَا أثناءَ الرؤيَا..

ونَسُــوق هذهِ الرؤيَا مقسَّــمة عَلى أحداثهَا ونبيــنُ ما فيهَا منْ حكمٍ وَأحكامٍ..

قالَ عليه الصَّلاة والسلامُ: إنهُ أتانى اللَّيلةَ آتيَانِ وَإنهما ابتعثانِى، وَإنهما قالَا لى: انطلِقْ، وَإنِّى انطلقْتُ معهمَا..

وَفِى روايَةٍ «رأيتُ رجليْنِ أَتيَانِى»، وَفِى روَاية «رأيتُ ملكَيْنِ».

وَفِى روايةٍ قيلَ لرسُول الله : «أَنَا جِبريلُ وهذَا مِيكائيلُ».

ومنَ المعروفِ أنَّ جبريلَ هو ملكُ الوحيِ الذِى يتنزلُ عَلى الأنبيَاء، وميكائيلُ هوَ ملكُ القَطْرِ وَالماءِ الذِى به حيَاةُ الكائناتِ كلهَّا..

والملائكـةُ عَالـم عاقـلٌ مفطُور عَلـى الطاعَة لله عـزَّ وجلَّ، لا يتوالَـدُونَ ولاَ يتكاثـرونَ، ولاَ يأكلونَ ولاَ يشـربونَ، وهمْ مخلُوقون من نُورٍ.. قال تعالى ﴿ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[1] سورة الأنبياء [١٩، ٢٠].

وللملائكةِ قدرةٌ على التَّشـكُّلِ بالصُّورةِ البشريَّة فلقد نزلُوا على إبراهيمَ الخليل ضيوفًا مُكرَّمين، وأتى الملائكةُ لوطًا عليه السلام فى صُورةِ شـباب بَهِى الطَّلْعة، وبعث الله إلى مريم البتُول جبريلَ الأَمينَ فى صُورةِ بشرٍ سَوِىٍّ يُبشرُهَا باصطفائهَا واصطفَاء وليدهَا، وكانَ جبريلُ يتنَّزلُ عَلى سَيِّدنا محمدٍ ويتمثلُ لهُ فِى صُورةِ رجلٍ منَ الصحابةِ هوَ دحية الكلبى.

انطلقَ المَلَكانِ برسُول الله وعرضَا عليه صورًا لبشرٍ، تُثير العقلَ وتحيرُ القلبَ وتدفعُ إلى التأمُّلِ ومراجعَةِ النفسِ ومحاسَبَتِها..

(١) لا يستحْسرُون: لا يضْعُفُون ولا يتْعبُون..

لقــدْ أَتوا على رجلٍ مُضطجعٍ وإذَا آخــر قائمٌ عليهِ بصخرةٍ، وإذَا هوَ يهْوِى بالصَّخرةِ لرأْسِه فيثلغ رأسَه فيتدَهْدَه الحجرُ ههنَا، فيتبع الحجر فيأخذهُ فلا يرجعُ إليهِ حتَّى يصح رأســهُ، كما كانَ، ثم يعودُ عليهِ فيفعَل بهِ مثلَ ما فعلَ بهِ المرةَ الأُولى.

فقال رسول الله: سبحانَ الله ما هَذَان؟

- إنهَا صُورةٌ نَادرةٌ وَمُثيرةٌ، رجلٌ مُسْتلقٍ عَلى قَفَاهُ، وهناكَ رجلٌ قائــمٌ أمامهُ يحملُ صخرةً ويلْقى بهَا على رأْسِ الرجُل المسْــتلْقى فيشدخهُ ويكسرُ جمجمتَهُ ويتدحرجُ الحجرُ عليهِ ثُمَّ يأخذُ الرجلُ القائــمُ الحجــرَ وينتظرُ حتَّى ترجــعَ رأسُ المضطجعِ سَــليمة، ثُمَّ يعاودُ رمْىَ الحجرِ عَلى رَأســهِ، ويفعلُ بهِ الكَسْــر والشَّدْخ ويسيلُ منهُ الدمَاء..

ويظلُّ الرجلُ المضطجعُ يُعذَّبُ هكذَا أحقابًا طويلةً..

وقَدَّمَ الملكانِ المصَاحبانِ لرسُــول الله تفســيرَ هذِه الصُّورة فِى المنام وقالَا له:

إنهُ الرجُل يأخذُ بالقرآنِ فيرفضهُ وينامُ عنِ الصَّلاة المكتوبَة..

والمعنَى أنَّ الرجــلَ المعذَّبَ حَفِظَ القــرآنَ الكريمَ وتعلَّمهُ ثم رأَى غيــرَهُ أفضلَ منهُ فرفضهُ وتركَ تلاوةَ القرآنِ، فلمَّا رفضَ أشــرفَ

شيءٍ فِي الوجُود وهوَ القرآنُ عُوقب فِى أَشرفِ أعضائِهِ وهوَ الرأسُ، فالجزاءُ منْ جنْسِ العَمَل..

ثـمَّ إنَّ هذَا الرجُل ينامُ عنِ الصَّـلاةِ المكتوبةِ أَي المفروضَةِ فلَا يُصلِّيهَا، وَلَا شكَّ أَنَّ الصلَاة عبَادة قَائمة عَلى قراءةِ القرآنِ، حتَّى إنَّ الله تعالى سمَّى صلاةَ الفجْرِ بقرآنِ الفجرِ فقالَ:

﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ ﴾[1] سورة الإسراء [الآية ٧٨].

فالتعذيبُ هنَا عَلى هجْرِ القرآنِ وترْكِ الصَّلاةِ..

وقدْ كانتْ وصيةُ رسُول الله لأمتِه بمعَاهدةِ القرآن أَىْ دوَامِ القراءَةِ وَالارتبَاطِ بالمصحفِ الشـريفِ ارتباطًا كثيـرًا، والتمهُّلِ فى القراءةِ، وحُسْـنِ الصَّوتِ حتَّى يحسَّ المسْـلمُ بِبَرْدِ الآيَاتِ فِى صدْرِه فقالَ: «إنَّمَـا مثل صَاحب القرآن كمثل صَاحب الإبِـلِ المعقَّلة (المربوطة بالعِقَالِ) إنْ عَاهد عَليها أمسكهَا وإنْ أطلقهَا ذَهَبَت» رواه مسلم.

وأخرج الإمامُ أحمد أنَّ ناسًا ذُكروا لعَائشةَ رضى الله عنهَا يقرأُونَ القرآنَ فِي الليلِ مرةً أَوْ مرَّتينِ فقالتْ: أولئكَ قرأُوا وَلمْ يقرأُوا، كنتُ أقـومُ معَ النبىِّ ليلَة التمامِ فكانَ يقرأُ سـورةَ البقرةِ وَآل عمران

(١) دُلوك الشمسِ عند زَوالها عنْ كَبِدِ السَّمَاء ظهرًا. وغسقِ اللَّيلِ ظُلمته وَشدَّته.

والنسَاء فلَا يمرُّ بآيةٍ فيهَا تَخْويف إلَّا دعَا الله واسْتَعَاذَ، ولا يمرُّ بآيةٍ فِيهَا اسْتبشَارٌ إلَّا دعَا الله وَرَغَبَ إليْه.

أمَّا الصلاةُ فهِيَ الركنُ الوحيدُ الذى فُرِضَ على الأمةِ مِنْ خلالِ مناجَاةٍ عُلْويّةٍ قدسـيَّةٍ بينَ اللهِ عزّ وجلّ وسيدنَا محمدٍ لَيْلةَ الإسْراءِ والمعْراجِ، وهىَ الفريضةُ الوحيدةُ التى لا تسقطُ سَفَرًا ولَا حَضرًا، ويؤدِّيهَا المسلمُ معَ الصحةِ والمرضِ، وهىَ متكـرِّرَةٌ فى اليومِ خمْس مرَّاتٍ، وَهىَ أوّلُ مَا يطالبُ به الإنسَان فِى الدنيَا وأولُ مَا يحاسبُ عليه فِى الآخرةِ، قالَ عليه الصلاُة والسلامُ- كما رواهُ أبُو داود-: «مُرُوا أولَادكُم بالصَّلاةِ وهُمْ أبناءُ سَبْعِ سنينَ واضربُوهُم عليهَا وهُمْ أبناء عَشر سِنين».

وروى الطبرانى فى الأوسط بإسناد لا بأس به:

«أولُ ما يحاسـبُ بهِ العبدُ يومَ القيامةِ الصَّلاة فإنْ صَلُحت صَلُح سَائر عملهِ وإنْ فَسَدت فسدَ سَائر عملهِ».

○○○

الـكـتـاب:

ثُمَّ انطلقَ المَلَكانُ برسُـولِ اللهِ لِيَرَى صورةً أُخْرى فَأَتوا عَلى رجُلٍ مُسْتلقٍ عَلى قفاهُ وإذَا آخر قائم عليه بكَلُوبٍ مِنْ حديدٍ، وإذَا

هُوَ يأتِى أحدَ شِـقى وجْهِه فيشرشر شِـدْقَه إلى قفاهُ، ومِنْخَره إلى قفاهُ، وَعَيْنه إلى قفاهُ، ثمّ يتحولُ إلى الجانبِ الآخرِ فيفعَلُ بهِ مثلَ ما فعلَ المرةَ الأُولى.. وهكذَا دَوَاليك..

قالَ رسولُ الله : سبحانَ الله مَا هذَان؟

- صـورةٌ تبعثُ عَلى الأَسـى وَتُثير القشـعَرِيرة، رجلٌ مُسْـتلقٍ عَلى قفـاهُ وأمامهُ رجلٌ يَحملُ قطعةً منَ الحديـدِ فيضعهَا فِى فمِ المسْتلْقى حتَّى تخرجُ مِنْ قَفَاهُ، ثمَّ يضعهَا فِى أنفهِ حَتَّى تخرجَ منْ قفاهُ، ثمَّ يضعهَا فِى عيْنهِ حتَّى تخرجَ مِنْ قفاهُ، ويظلُّ يقلِّبُ شِـقىَّ وجههِ ويفعلُ بهِ هذَا العقابَ الأَليم..

وقَدْ فسَّر المَلَكانِ هذهِ الصُّورةَ بالرجُلِ يغدُو منْ بيتهِ فيكْذبُ الكذْبَـةَ تبلغُ الآفَـاقَ، بمعنَى أنَّ الرجـلَ يخرجُ منْ بيتـهِ مبكِّرًا ويطلقُ كلامًا كَذبًا وَإشَـاعَاتٍ مُغْرضَةٍ فيتناقَلهَا الناسُ عنهُ وتشيعُ فِى المجتمعِ..

ولمَّـا كانَ الكذبُ ينطقُ بهِ اللِّسـانُ، وتسـاعدُهُ جـوارحُ الوجْهِ بالهمْزِ والغَمْزِ، وغيرِ ذلكَ كانتِ العقوبةُ فِى محلِّ الجريمةِ..

والمؤمـنُ لَا يكون كذَّابًا وقدْ قالَ رسـولُ اللـه «إنَّ الصدقَ يهـدِى إلى البرِّ وإنَّ البرَّ يهدِى إلى الجنَّةِ وإنَّ الرجُل ليصدُقُ حتَّى

يُكتــب عندَ الله صِدِّيقا وإنَّ الكذبَ يهدِى إلى الفجورِ وإنَّ الفجورَ يهــدِى إلى النــارِ وإنَّ الرجُل ليكذبُ حَتَّى يكتبَ عنــدَ اللهِ كذَّابًا» متفق عليه.

وأنــواعُ الكذبِ كَثيرة منهَا شــهادةُ الزُّور التِــى يقتطعُ بهَا حقُّ مُســلم أَوْ يسوءهُ فِى مالِه ونفســهِ وعرْضِه وهىَ منْ أكبرِ الكبائرِ، قالَ رسولُ الله «أَلَا أُنبئكُم بأكبرِ الكبائرِ؟ قلنَا: بلَى يَا رسولَ الله قال: الإشــراكُ بالله وعقُوق الوالديْــن، وكانَ مُتكئا فجلسَ فقالَ: ألَا وقولُ الزُّور وشــهادةُ الزورِ، فمازالَ يكررهَا حتَّى قلنَا: ليتهُ سَــكت «أىْ مِنْ هولِ التهديدِ)» متفق عليه..

وتتعاظمُ شهادةُ الزُّور ويتفاقمُ شــرهَا وضررهَا عندمَا تُصاحبها اليمينُ الكاذبَةُ والتِى سمَّاها الرسولُ الكريمُ باليمينِ الغَمُوس التِى تغمــسُ صَاحبها فِى النارِ، قالَ رســولُ الله - كما رواه مســلم-: «مَنِ اقتطعَ حقَّ امرئٍ مُسْــلم بِيمينِه فقدْ أوجبَ اللَّهُ لهُ النارَ وحَرَّمَ عَليه الجنَّة، فقالَ رجُل: وإن كانَ يَســيرًا يَا رسُــول الله؟ فقال: وإن كانَ قضِيبًا مِنْ أَرَاك».

ومــنْ كلماتِ الكَــذب التِى يتنزهُ عنهَا المســلمُ كلمــةُ القذفِ المتعلقَةِ بأعراضِ المسْــلمينَ وَهِىَ مِنْ كبائرِ الإثمِ وَالفُجورِ، وتوعَّدَ

الله عليهَا هَوَان الدنيَا وعـذَاب الآخرة فقالَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ سورة النور [الآية ٢٣].

وتتواصَلُ مسيرةُ الملكْينِ برسُول الله فى الرؤْيَا فيأتونَ عَلى مثْل التنُّورِ فإذَا فيهِ لَغَط وَأَصْوات وَيطَّلعُون فيه فإذَا فيهِ رجَال ونسَاءٌ عُرَاة، وإذَا هم يَأْتيهم لهبٌ مِنْ أَسْفلَ منهم، فإذَا آتَاهُم ذلكَ اللهبُ ضَوْضَوُا.

- هَذه صُورة بشـعَة لرجَال ونسَـاء عُرَاة يختلطُ بَعْضهُم ببعْضٍ ليـسَ عَلى أَسـرَّة وإنما هُم فى فرنٍ يَشـتعلُ نـارًا وتعلُو أصواتُهم يَسْتغيثونَ، فهمْ أشبهُ بالسَّمك المشْوىِّ عَلى النَّار..

وَلَمَّا تسـاءلَ رسـولُ اللـه عَنْ هـؤلَاء قيلَ لهُ: إنهـمْ الزُّناة وَالزَّوَانى..

فهم عُراة فضيحَة لَهُم لأَنهم مارسُوا جَريمتَهُم فِى الخفَاء فَعُوقبُوا بهتْـكِ سـتْرهم أمَام الملأ وكانـتِ النارُ مِنْ تحْتهـم لأَنَّ جَرِيمتهم ارتكبُوهَا فِي أَعْضَائهم السُّفلى..

إنَّ الإسلام حريصٌ عَلى عَفاف الأُسْـرةِ وَفضيلة المجتمع فجعلَ عُقوبـةً زاجرةً فى الدنيـا للمتمردينَ عَلى الأَعْراض وَشـرفهَا فكانَ الجْلدُ مائة جلدَةٍ فِى ميدانٍ عَامٍّ لكلٍّ منَ الشابِّ والفتاةِ اللذيْن لَمْ يسبقْ لهمَا زَوَاج.

فقال تعالـى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴾ سورة النور [الآية ٢].

فإنْ سبقَ للزانيَانِ زوَاج فحدُّهمَا الرجْم حَتَّى الموْت..

كلُّ ذلكَ من أجْلِ الحفَاظ عَلى شرفِ الأعراضِ، فالعرضُ أغْلى منَ النفسِ وأثمنُ منَ الحياةِ وفوقَ كلِّ كنوزِ الدنيَا..

والنهىُ عنِ الشـىء نهْىٌ عَنْ مُقدماته قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً ۖ وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ الإسراء [الآية ٣٢].

إنَّ العرضَ الشريفَ يأبى الكلمةَ الخاضعَة بينَ الرجُل والمرأةِ، تلكَ الكلمةُ التى تثيرُ الفتنةَ وتصفُ العَورات وتخوضُ فى الأعراضِ وتقودُ إلى مهاوِى الرَّذيلة.. قـال تعالى: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ ﴾ سورة الأحزاب [الآية ٣٢].

ويرفضُ العرضُ الشريفُ النظرةَ الفاحصَة الخبيثةَ لعورَةِ الرجُل أو المرأة، كما يرفضُ كشفَ العورَات والتبرُّجَ السَافرَ للنسَاء قال تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ سورة النور [٣٠. ٣١].

وَنهى رسولُ الله عنِ الخلوةِ بالأجنبيَّةِ حتَّى لا يكونَ الشيطانُ ثالثهمَا فقالَ- كما رواه البخارى-: إيَّاكُم والدخُول على النسَاء، فقالَ رجلٌ: يَا رسولَ الله أفرأيتَ الحَمْوُ؟ قال: الحَمْوُ الموْتُ.

والحَمْوُ قَريبُ الزوجِ أَوِ الزوجَة غَير المحرم كابنِ العمِّ وابنِ العمةِ وابنِ الخالِ وابنِ الخَالة.. إلخ فهذَا القريبُ غيرُ المَحرَم قَدْ يتخذُ مِنْ قَرابته مُتَّكئًا للدخُول والخروجِ فِى غيبَةِ الزَّوج فيسوِّلُ لهما الشيطانُ ويُمْلى لهم.

وقد لعنَ النبىُّ المخنثينَ من الرجَال والمترجِّلَات مِنَ النساءِ وقال- كما فى صحيح البخارى-: أَخْرِجُوهم مِنْ بُيُوتكم.

فهؤلَاء قُرنَاء السُّوء لَا يصلُحونَ للصَّداقةِ وَالصُّحبةِ الطَّيِّبة.

تمضِى أحـداثُ الرؤيَا فينطلقُ الملكانِ برسُـول الله ويقفُ الجميـعُ أمامَ نهْرٍ مـاؤهُ أَحمر مثل الدَّم، ويشـاهدونَ فِـى النهْرِ رجلًا سابحًا وسـطَ هذِه المياهِ الدمويَّة فإذَا تعبَ الرجلُ خرجَ إلى الشَّاطىء ليجدَ مَنْ ينتظرهُ، رجلًا قدْ جمعَ عندهُ حجَارةً كبيرةً، فيأخذُ صاحبُ الحجارَة الرجُلَ العائدَ منَ السـباحَة فيفغرُ لهُ فاهُ (أى يفتح فم السـابح) ويلقمهُ حجرًا منْ هذهِ الأحجَـارِ الكبيرةِ لتنزلَ جوفَهُ بشـدَّةٍ مُؤلمةٍ وَتستقرُّ فِى مَعِدته نارًا حَاميَةً ثُمَّ يضطرُّ السَّابحُ إلىَ العودَة إلى النهرِ الدَّموى حتَّى يعتريهِ الوَهَنُ فيخرجُ إلى الشاطىءِ ليلْقَى نفسَ الجزَاء، ويظلُّ الرجلُ السَّـابحُ هكذَا بينَ الميَاه الدمويَّة وإلقامهِ الحجَارة الكبيرَة..

ويتسـاءلُ النبىُّ فِى منامهِ عنْ هذيْنِ الرجليْنِ فيكونُ جوابُ الملكيْن بأنهُ آكلُ الرِّبَا وإنمَا كانَ عقابهُ بهذِه الطريقةِ لأنَّ آكلَ الربَا يجمعُ الأموالَ وهىَ فِى أصلهَا الذَّهب فَعُوقب بالسباحَة فِى المياهِ الدمويَّة الحمـرَاء، وكانَ إلقامُه الحَجَر دليلًا عَلى أنهُ لا ينتفعُ بمالِ الربَـا فالله يمحقهُ ولَا بركةَ فيهِ ويظلُّ مـالُ الربَا حجرًا عَلى صَدْره يُؤَرقه ويعذِّبُه.

وَقَدْ توعَّد الله تعالى آكلَ الربَا بعقُوبات كثيرةٍ فى الدنيَا والآخِرَةِ وَبمصيـرٍ مخزٍ فيهمَا فهناكَ إعلانٌ للحربِ منَ الله تعالى عَلى آكِلي الربَا وهناكَ وَعيدٌ بالمحْقِ والزوَال وَالإفلاسِ، وهناكَ الخبلُ والجنونُ والتَّرنُّـح عند الخُروج من القبورِ للحسـابِ والجزاءِ يومَ القيامَة ثُم ملَازمةُ جَهَنم والمكْثُ الطَّويل فيهَا..

قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ ﴾ سـورة البقـرة [٢٧٥ ، ٢٧٦].

وقد رفضَ القرآنُ منطقَ الرِّبَويينَ المعْوَج عندمَا خدعُوا بأَنفسِهم بـأنَّ الرِّبَا مثل البَيْع فردَّ اللـه عليْهم بأنَّ الفرقَ بينَ الحلالِ والحرام شَـعْرة، فمنِ اشْتَرى سلعَةً بخمسَـةِ جُنيهات وَبَاعها بسبْعَةٍ فالبيعُ حَلَال، ومنْ أَعْطى خمسـةَ جنيهاتٍ لشخصٍ ثُمَّ استردَّهَا منهُ سبعةَ فهذَا ربًا حَرَام..

وَأكَّـد القرآنُ أنَّ التوبةَ مـن الربَا تكونُ بالتخلُّـص ممَّا زادَ عنْ رأْس المـالِ بإرجَاعهِ لصَاحِبه إنْ كانَ معلومًا أو بوضعْهِ فِى مصَالح المسلمينَ العامَّة..

ومنْ لَـمْ يلتزمْ بحدودِ الله ويقطعْ صلتـهُ بالربَا فليتحمَّلْ حربًا عليهِ منَ اللهِ، ولَا شكَّ أنهُ هوُ الخاسرُ المهزومُ قالَ تعالىَ:

﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ ﴾ سورة البقرة [الآية ٢٧٩].

وآيـاتُ الربَا فى سُـورة البقرةِ آخـرُ مَا نزلَ من القـرآنِ الكريمِ فالحكمُ قطْعِى، وأكَّدهُ النبىُّ فى حجَّةِ الودَاعِ وقال:

ألَا إنَّ ربَا الجاهليَّة مَوْضُوع (أى باطل)، وأولُ ربًا أضَعُ ربَا العباسِ بنِ عبدِ المطَّلب.

ونتسـاءلُ: لمـاذَا يُصر البعضُ عَلـى التعامُل بالربَـا رغمَ هذِه الزواجرُ الشَّرعيَّة؟!

إنَّ آكلَ الربَا إمَّا أنْ يقرضَ ذَا عُسْـرة ليقضِىَ حَاجةً منْ حاجاتِ حَيَاته، فالربَا حينئذٍ اسْتغلَالٌ للموقفِ، وهروبٌ منْ حُقوق الأُخوةِ، وانتكاسَـةٌ أخلاقيَّـة تمتصُّ دمَـاءَ المحرُومينَ، ونسـيَانٌ لقولِ الله

تعالىَ: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجۡرٞ كَرِيمٞ ﴿١١﴾ ﴾ سورة الحديد [الآية ١١].

وَإمَّا أَنْ يقرضَ آكلَ الربَا ذَا مَيسْرة ليزيدَ تجارتَهُ وليوسِّعَ مصنعهُ أَوْ مزرعتهُ أَوْ عمارتَهُ..

فهناكَ حَلَّان:

الأولُ موجَّه إلى ذِى الميْسَـرة أَلَّا يشـغلَ نفسَـهُ بالديونِ، فإنَّ الديـنَ هَـمٌّ باللَّيلِ وَمذلَّةٌ بالنهـارِ، ومَنْ ماتَ وعليهِ دينٌ فنَفْسـه مَرْهونة بدينهِ حتَّى يُقْضَى عنهُ، وَلْيرض بما قسمَ الله لهُ، ولا يتطلَّعْ إلىَ مَنْ هُوَ فوقهُ، وَلْيَسِرْ فِى تجارتهِ أو عملهِ خُطْوة خُطوةً فإنَّ لكلِّ إنسَانٍ رزقًا لنْ يموتَ حتَّى يَسْتوْفيَه..

والحلُّ الثانِي موجَّهٌ إلـى المقْرِض، فلهُ حقُّ الامتناعِ عنْ إقراضِ مثل هذَا الشَّخْص الهلُوع فالقرضُ فِى حقهِ ترفٌ.

ولهُ أَنْ يُشاركَ المدينَ فِى تجارتهِ بنسبَةٍ منْ رأْسِ المالِ وَيَتحمل معهُ نتيجةَ هذَا الاسْتثمار سلْبًا أَوْ إيجابًا..

وليسَ هناكَ حلٌّ ثالثٌ..

تتواصلُ المسـيرةُ النبويةُ فى الرؤيَا معَ الملكيْنِ، فيصلُ الجمْعُ إلى رجلٍ كريهٍ قَبيح المنظرِ يقفُ أمامَ نارٍ مُلْتهبةٍ يَحُشُّهَا[1] ويسْعَى حَوْلها؛ أى يوقدهَا ويزيدهَا اشـتعالًا بتحريكهَا وجَمْع مَا تفرَّقَ منَ الحطبِ حولهَا..

وتساءلَ الرسـولُ فِى المنامِ عنْ هذَا الموقفَ الرهيبَ فكانَ الجوابَ إنهُ مالكٌ خازنُ جَهَنم، وكأنَ هذهِ الصُّورة لهذَا الملكِ ليزدَاد عذابُ أهلِ النارِ..

وقدْ وردَ اسمُ مَالك فى القرآنِ الكريم فِى قوله تعالَى: ﴿ وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ سورة الزخرف [الآية: ٧٧].

فالمجرمونَ فِى جهنَّم لا يموتُونَ فيسـتريحونَ، ولا يحيَونَ حياةً هَنيئة، وَتَأْتيهم أسـبابُ الموتِ منْ كلِّ مـكانٍ، ويظلُّونَ يتجرَّعُون الآلامَ والحسراتِ جزاءً وِفاقًا..

وَتعْتريهم أهوالٌ وأحوالٌ، فتارةً يُبْلسـونَ ويَيْأسونَ يَأْسًا مُطلقًا، وتارةً يتوقعونَ الغوثَ والرجَاء، وتـارةً يتلاوَمُونَ فيمَا بَيْنهم، وتارةً

---

(١) حش النار: جمع لها الوقود وحركها لتتقد وتشتعل..

يتحادثُونَ معَ خزنةِ جَهَنم، وتارةً يخاطبُونَ مَالكًا رئيسَ الخزنةِ سَائلينَ الموتَ الزؤامَ فيجيبهُم بعدَ أحقابٍ طِوَال: «إنكُمْ مَاكثُونَ..».

وَمنَ المعروفِ شرعًا أَنَّ خزنةَ جهنَّم تسعَةَ عَشَر بنصِّ قوله تعالىَ: ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ ﴾ سورة المدثر [الآيات ٢٦ - ٣٠].

وهؤلاء التسعَة عَشــر قد يكونُونَ صنفًا أو صفًا أو شخصًا، وهُم الزَّبَانيَــة الذيــنَ ذكرُوا فِى قولِ اللــه تعالى: ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ ﴾ سورة العلق [١٧ : ١٨].

وكلمةُ الزَّبَانية من الزَّبْن وهوَ الدَّفع فالزبانيةُ يدفعونَ أهلَ النارِ ويَسُوقونَهم إليهَا بشدَّةٍ، فهمْ غِلَاظ شِدَاد..

أصحابُ الجنة:

وَاصلتِ المسـيرةُ النبويَّةُ فِي المنامِ مُشَــاهداتهَا فانطلَقُوا إلى روضَة مُعْتمة فيهَا منْ كلِّ لونِ الرَّبيع..

والمرادُ بالروضَة حَديقة مُثمرة كَثُر شجرُهَا الأَخْضر الجميلُ الذى يُظللُ الأرضَ وَيُغطيهَا حتَّى كأنهَا فِي ظلمةٍ شَديدَة..

وَفِي وسَـط هَذِه الحديقةِ الغنَّاء، يقفُ رجلٌ طويلٌ جدًّا، لَايكادُ يُرى رَأْسه طُولاً فِي السَّماء وحولَ الرجُلِ وِلْدَان كثيرونَ..

وتسـاءلَ الرسـولُ عنْ حقيقةِ هذَا المنظـرِ والمظْهرِ الأخَّاذ فكانَ الجوابُ الملائكيُّ فِى المنام:

أمَّـا الرجُل الطويـلُ الذِى فِى الروضَة فإنـهُ إبراهيمُ عليه السلام، وأمَّا الوِلدَانِ الذينَ حولهُ فكلُّ مولودٍ مَات عَلى الفطرة..

فالأطفـالُ الذينَ ماتُوا قبلَ البلوغِ سَـيَدخلُونَ الجنـةَ لأنَّهم لَمْ يكونُـوا مُكلَّفين فِى الدنيَا ولَمْ يصلُوا إلـى مرحلةِ البلُوغ التِى هىَ أسـاسُ التَّكليـفِ وأرادَ بعضُ المسـلمينَ التأكُّد منْ هـذَا الحكمِ الشَرعىِّ فقالُوا:

يَا رسولَ الله وأولادُ المشركينَ؟ فقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: وأولادُ المشركينَ.

وأمَّا الأحاديـثُ التِى وَردتْ وَيُفهم منهَا أَنَّ أطفالَ المشـركينَ فِى النارِ فلهَا مَحْملٌ آخرُ، وعَلى سـبيلِ المثالِ حَديث عَائشة رضى اللـه عنهَا قالتْ: تُوُفى صبىٌّ منَ الأَنصَار فقالتْ: طُوبَى لهُ عُصفورٌ منْ عَصَافيرِ الجنةِ لمْ يعملْ السُّـوءَ وَلمْ يُدْركْـهُ، قالَ عليه الصلاةُ والسـلامُ: أَوَ غير ذلكَ يَا عَائشـةَ إنَّ اللهَ خلـقَ للجنَّة أهْلًا خلقهُمْ

لهَـا وهُمْ فِى أصْلَابِ آبَائِهـم وخلقَ للنارِ أهلًا خلقهُمْ لهَاَ وَهُم فِى أصْلَابِ آبَائِهم.

فليـسَ فِي هذَا الحديـثِ مَا ينصُّ عَلى الأطفَـال وإنمَا المعنَى يتعلَّق بأحدِ مَصيريْنِ للإنســانِ مُطلقًـا إمَّا فِي الجنةِ وإمَّا فِى النارِ، وعلْمُ الله تعالى سَابقٌ لهؤلَاءِ وَهُمْ فى أصْلَاب آبَائهم.. ولعلَّ النبىَّ نَهَى السـيدةَ عائشةَ عَنِ المسَارعةِ إلى الجزْمِ وَالجزْأةِ على الله تعالى وَالحُكـم عَليه فإن الله يفعلُ ما يشَـاءُ ولَا مُعقبَ لحكمهِ.. ونحنُ نحسنُ الظنَّ بالله ولَا نقطعُ بشىءٍ..

إنَّ سـيدنَا محمدًا رأَى فِي المنامِ إبراهيمَ واقفًا وسطَ الجنَّةِ وحولهُ أطفالُ الناسِ فلماذَا خصَّ إبراهيمَ بهذهِ المنزلةِ؟

والجوابُ أَنَّ إبراهيمَ هو الجدُّ الأعلىَ للعربِ المسْتعربةِ وَاليهُود، فالعربُ منْ نسلِ إسماعيل عليه السلام، واليهودُ مِنْ نسْلِ إسحق عليه السلام.

ثمَّ إنَّ إبراهيمَ رُزِق بولديْهِ إسماعيل مِنْ هاجرَ المصريّة وإسحق من زَوْجِهِ سَارة على كبر سنٍّ ووهَنِ عظْمٍ فكانَ حفيًّا بالأطفالِ..

وَإبراهيم هوَ أبوُ المسلمينَ وهوَ الذى سمَّاهم بهذَا الاسْم.. قالَ الله تعالى: ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾ سورة الحج [الآية ٧٨].

وسيدنَا محمد هوَ دعوةُ أبيه إبراهيم حينَ رفعَ القواعدَ منَ البيتِ الحرام فقالَ: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾ سورة البقرة [الآية ١٢٩].

وفرضَ الله على الأمة المحمديَّة التوجُّه فى صَلاتها إلى الكعبة المشرَّفة بناء إبراهيمَ وإسماعيلَ عليهمَا السَّلام فقالَ: ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾ سورة البقرة [الآية ١٤٤].

وجعلَ الله الحجَّ إلى الكعبة تلبيَةً لنداء إبراهيمَ فريضةً وركنًا منْ أركانِ الدِّين فقالَ: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ سورة آل عمران [الآية ٩٧].

ولهذَا فإنَّ أفضلَ الصِّيغ فى الصَّلاة والسَّلام عَلى سيدنَا محمد هِىَ الصِّيغةُ الإبرَاهيميَّةُ التى تُقالُ فى ختامِ التشهُّدِ فى الصَّلاة.

كانَ المشـــهدُ الأخيرُ منْ هذِه الرؤيَا النبويَّة العجيبَة عَلى النحوِ التَّالي:

فَانطلقْنَا فَانتهينَا إلى روضَةٍ عظيمةٍ لَمْ أَرَ روضةً قطْ أَعْظم منهَا وَلَا أَحْسن.

ثُمَّ قِيلَ لرسُـول اللـه : ارْقَ فانتهـى بهِ الرُّقـيُّ إلى مدينةٍ مَبْنيَّة بلبنِ ذَهبٍ ولبِـنِ[1] فضةٍ، ووقفَ الجمعُ أمامَ بابِ المدينةِ وَاسْـتفتحُوا ففُتِحَ لَهُـم ودخلُوا المدينةَ فوجدُوا بشـرًا على حَالٍ عجيبَةٍ، رجالٌ شـطرٌ منْ خَلْقهم كأَحْسَن مَا أنتَ رَاءٍ، وَشطرٌ كأقبحِ مَا أنتَ رَاءٍ.

فهيئةُ هؤلَاء الرجالُ تجمعُ بينَ الحسـنِ فـى مُنتهاهُ والقبحُ فى مُنتهـاهُ وَأَمَرَ الملكانِ اللَّذانِ يَصْحبان رسـولَ الله هؤلَاء الرجَال أَنْ يذهبُوا إلىَ نهرٍ مَاؤهُ كاللَّبنِ الخَالصِ وينزلُوا فيهِ، وَاسْتجابَ الرجالُ واغتسَلُوا فِى هذَا النهرِ وعادُوا قدْ ذَهب عَنْهم سوءُ المنظرِ وصَارُوا فِى أَحْسنِ صُورَةٍ..

(١) اللَّبن- بفتح اللام وكسْر الباء- جمْعُ لبِنة وأصْلها ما يُبْنى به من الطِّين.

وكانَ تفسيرُ هذَا المشهدِ أَنهم قومٌ خلطُوا عملًا صالحًا وَآخر سَيِّئًا فَعُوقبُوا بهذهِ العقُوبة التى قسَّمت هَيئتَهم إلى قسْمين: أحدهمَا حَسَن وَالآخرُ قبيح ثُمَّ عفَا الله عَنهم وأعادَ إليهم الحُسْن فى هَيْئتهم كلهَا فضلاً منَ الله وَنعمة.. قال تعالى: ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ سورة التوبة [الآية ١٠٢].

وَعقبَ ذلكَ قالَ الملكانِ لسيدنَا رسوُل الله :

هذهِ جَنَّةُ عدْنٍ وهذَا مَنزلكَ..

فسمَا بصرُ رسُول الله صُعُدا أي ارتفعَ ارتفاعًا كبيرًا وَرأَى الرسولُ قصرًا مَشيدًا مثل الربَابة البَيْضاء أَي السَّحابَة البيْضَاء، وأرادَ الرسولُ أَنْ يدخلَ هذَا المنزلَ المعدَّ لهُ ودعَا للملكيْنِ قائلًا: باركَ الله فيكمَا ذَرَانِي فأدخلهُ، فكانَ الردُّ الملائكىُّ: أَمَّا الآنَ فلاَ، وأنتَ دَاخله..

فالجنةُ لا يدخلهَا أحياءُ الدنيَا حتَّى يَسْتوفُوا آجَالَهم المقدَّرَة فى هذه الدنيَا.. قال تعالى:

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ

وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾ سورة آل عمران [الآية ١٨٥].

الجنة ونعيمها:

الجنة فى اللُّغة: البسْتَان.

وفى اصطلاح الشرع: دارُ الثوابِ التِى جعلهَا الله تعالى لتكونَ دارَ إقامَةٍ أبديَّةٍ للمؤمنينَ فِى الآخرةِ.

ونعيمُ الجنَّةِ ممَّا لاَ عَيْنٌ رَأَت ولَا أُذن سَمِعت ولاَ خَطَر عَلى قلْب بَشَر، وقدْ تكونُ الأسماءُ مَعْروفة لنَا فِى الدنيَا لكنَّ الحقائقَ غَير خَاضعةٍ للتصوُّرِ، قال الله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ سورة البقرة [الآية ٢٥].

وللعلماءِ فِى فَهْمِ قولِه تعالىَ ﴿ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ ﴾ قولاَن:

١ - عندمَا يَأتيهم الرِّزقُ يقولُ أهلُ الجنةِ هذَا الذِى رُزِقنا بِهِ فِى الدنيَا.

٢ - أَوْ يقولُونَ هذَا الذى رُزقنا بهِ فِى المرَّاتِ السَّابقةِ فى الجنَّة.

فيقَـالُ لَهُم فِى الحَالَيْن: اللونُ مُتشـابه والطَّعم مُخْتلف، ولهذَا وردَ فِى بعْضِ الآثارِ: ليسَ فِى الدنيَا ممَّا فِى الجنَّةِ إلَّا الأَسمَاء.

فالرُّمَّانُ والأعنابُ والفواكهُ ولحومُ الطيرِ والماءُ والخمرُ والعسلُ.. إلخ لا تشتركُ معَ مَا فِى الدنيَا إلَّا فِى الاسْم فَقَطْ..

قـال اللـه تعالـى: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ سـورة محمد [الآية ١٥].

وثمـرةُ الجنَّة لا مقطُوعة بالأزمَـان ولا ممنُوعَة بالأَثمَان، فليسَ فيهَا فاكَهةُ صيفٍ أَوْ شـتَاء، وليسَـت بَعيدَة المنَال عنْ مُشـتهيهَا، فالـكلُّ مُتوافر وتحـتَ الطَّلب، قال تعالـى: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ ﴾ سورة الرعد [الآية ٣٥]، وقال جل شأنه: ﴿ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ سورة الواقعة [٣٢، ٣٣].

وَمِنْ نعيم الجنَّة الوِلْدَان قال تعالى: ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ ﴾ سورة الإنسان [الآية ١٩].

فالطَّواف للخدمَـة، وهؤلَاء الوِلْدَان عَلى حَال واحدَةٍ لَا يَكْبرونَ ولَا يَشِيبُونَ، وَهُمْ فِى انتِشَارهم لقضَاء حَوَائج أَهْل الجنَّة، وَكَثْرتهم وصَبَاحـة وجُوهِهِم وحُسْـن ثِيَابهـم كاللُّؤلُؤِ المنْثُورِ فـى المكَانِ الوَاسِع..

ومنْ نَعِيم الجنَّةِ الحُور، وهنَّ نسَـاءٌ فِى غَاية الحسْن والبهَاء والجمَـال، وصَفهم القرآنُ بأوصَاف خَلَّابـة فِى مثل قوله تَعَالى: ﴿ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ ﴾ سورة الصافات [٤٨، ٤٩].

ومَعْنَـى «قاصرات الطرف»: أَىْ لا ينظـرْن إلى غيْرِ أزوَاجِهن أَوْ يقْصُرْنَ أَبصَار أزوَاجهـنَّ عليهِنَّ فَيَظَل الأزوَاج ينظُرونَ إليهنَّ لفرْطِ حُسْنِهن.

ومَعْنَى «عين»: أَىْ نجْلَاء العيُون وَاسعة حَسْنَاء.

ومعْنَى «بيْض مكْنُون» قيلَ هوَ اللؤلؤُ المكنونُ الذى لَمْ تمسـهُ الأَيْدِى، وقيلَ بياضُ البيْضِ حينَ تُنزعُ قِشْرته.

وَفِى موْضع آخرَ نقرأُ قولَ الله تعَالَى: ﴿ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ ﴾ سورة الرحمن الآيات [٥٦– ٥٨].

ومعنى «لَمْ يطمثهن»: أَنَّهُنَّ أبكَار لمْ يَطَأْهنَّ أحدٌ قبلَ أزْوَاجهنَّ، وللجنِّ جنيَّات وللإنس إنسيَّات كَىْ تَتشابهُ الخلْقَة.

وقوله «كأنهنَّ الياقُوتُ والمرْجَان»: أَىْ فِى الصَّفاء وَالبيَاضِ، وَفِى بعْضِ الآثار «إنَّ المرأةَ منْ نسَـاء أَهْلِ الجنَّةِ ليرَى بَيَاض سَاقها منْ وَرَاء سبْعينَ حلَّة».

وَلْنعلم أنَّ نعيمَ الجنَّة ليسَ وَقْفًا عَلى الجَانب المَادِّى فحَسْب فِى الأرائك والسُّـرر والمَآكل الشهيَّةِ وَالمشَارب الهَنيَّة والمنَاكح البهيَّة، بلْ هناكَ ما هوَ فوقَ ذلكَ وَذرْوَة سَنَامه ألا وهوَ الرضْوَانُ وَالوُدُّ.

وفِى صَحِيح مُسْـلم بسندِه عَنْ أبِى سَعِيد الخُدْرى أَنَّ النبىَّ قـالَ: «إن الله يقـولُ لأَهْلِ الجنَّة: يَـا أهلَ الجنَّة فيقُولُـونَ: لبَيْك وسـعْدَيْك وَالخَيْر فِى يَديْكَ، فيقـولُ: هَلْ رَضيتُم. فيقولُونَ: ومَا لنَا لَا نرضَـى يَارب وقَدْ أعطيتنَا مَا لمْ تُعْـطِ أحدًا منْ خَلْقكَ؟! فيقولُ: ألاَ أُعْطِيكم أفضَلَ منْ ذلك؟ فيقولُونَ: يَا ربِّ وأىُّ شـىء أفضلُ منْ ذلكَ؟ فيقولُ: أحلُّ عليكُم رضْوَانى فلَا أَسْخطُ عليكُم بعدَهُ أبدًا».

وقَدْ جَاءَ فِى القُرآن المَجِيد هذَا المعْنَى واضحًا جليًّا، فَفِى سورَةِ التَّوْبَة بعد مَا وعدَ الله المؤمنينَ جنَّات فيهَا أنهارٌ ومسَـاكنَ طَيِّبَة، بيَّنَ أنَّ الرضَا منَ الله والرضوَان فوقَ ذلكَ كلِّه فقالَ:

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ سورة التوبة [الآية ٧٢].

وَقَدْ سَمَّاهُ القرآنُ فِى سُورةِ مَرْيم وُدًّا فقالَ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ ﴾ سورة مريم [الآية ٩٦].

هَلْ هَذِه المشاهدُ فِى تلكَ الرؤيَا النبويَّة حَقيقة وَاقِعة أَوْ اسْتحضَار لصوُرِ المسْتقبلِ التِى سَتحدثُ يومَ القيامَة؟

لا مانع من أحد الأمرين..

فقدْ تكونُ هَذِه المشاهدُ حَقيقة وَاقِعَة أثناءَ رُؤْية الرسُول لهَا، وهىَ تمثلُ جانبًا مِنْ عَالمِ البرزَخِ الذِى يَقَعُ فيهِ نَعيم القَبْرِ وَعَذَابه..

والبرزخُ فِى اللغةِ هوَ الحاجزُ بينَ الشَّيْئين، ونعنِى به هنَا المرحلةُ التِى تعقبُ هذِه الحيَاةَ الدنيَا وتفصلُ بينهَا وبينَ الحياةِ

الآخرةِ حينَ يخرجُ الناسُ منْ قبُورِهم مُسْرِعينَ مُلَبِّينَ النداءَ الإلهى ليوْمٍ «يجعلُ الوِلْدَان شيبًا».

فنعيمُ القبرِ وعذَابُه مرحَلة تمهيديَّة للحسَابِ الأكبرِ يومَ القيامَةِ وبهِ يَعرفُ الإنسـانُ مصيرَهُ الذى ينتظرهُ يومَ البعثِ وَالنشـورِ فإذَا قُبِر الإنسَـانُ وفرغَ الناسُ منْ دَفنهِ يَأتيهِ مَلَكان يَسْـألانِه مَا ربُّكَ؟ ومَا دِينُكَ؟ وما تقولُ فى الرجلِ الذى بُعِثَ فِيكُم؟

فالمؤمنُ يقولُ: رَبِّىَ الله وَدِينى الإسْلَام وَنبيى محمدٌ .

وكانَ رسـولُ الله إذَا فرغَ مِنْ دفْنِ الميتِ وقفَ عَلى قبرهِ وقالَ: اسْتَغفرُوا لأَخيكم فإنهُ الآنَ يُسَأل.

وَقَـدْ ينكرُ بعضُ الناسِ سـؤالَ القبْرِ وَنعيمَـه وعذَابَه بحجةِ أَنَّ الميتَ يُوضع فِى لحْدٍ ضَيِّق، وَلَا يُرى عليه أثرُ تعذيبٍ أَوْ تنْعيمٍ وَأنَّ بَدَنَ الإنسانِ يتفتَّتُ وقَدْ تَذْروهُ الريَاحُ..

والجـوابُ باختصَارٍ أَنَّ لكلٍّ مَرْحلةٍ منْ مراحلِ الحياةِ الإنسَـانيةِ نواميـسَ تحكمهَا، فالجنينُ حىٌّ فِى رحمِ أُمِّه، والإنسـانُ حىٌّ عَلى ظهْـرِ هذِه الأَرْضِ ولكلٍّ منهمَا طَبَائـعُ خاصَّة، فمَا يكونُ بهِ الجنينُ حيًّا لا يصلحُ أَنْ يكونَ بِهِ الإنسَانُ حَيًّا، والعكسُ بِالعكْسِ..

فحياةُ القبرِ حَيَاة لَهاَ نواميسُ غَير مَا تعارفْنَا عليْه فِى هذِه الدنياَ، ثمَّ إنَّ قدرةَ الله صَالحة، والله تعالى لا يعجزهُ شىءٌ، وكوننا لَا نرى شـيئًا مِنَ الألمِ أَوِ اللـذَّةِ عَلى الميتِ لَا يَنْفيه، فقـدْ كانَ الصحابةُ يجلسونَ معَ رسُولِ الله ويتنَّزلُ عليهِ ملكُ الوحيِ جبريلُ الأَمينُ ولا يُشَاهدونَ شيئًا[1].

هـذَا وقدْ تكونُ هذِه المشـاهدُ فِى الرؤيةِ النبويَّة اسْـتحضارًا لصوُرةِ المسْتقبلِ، عُجِّلَت لرسُولِ الله حَتَّى يُخبر أُمتهُ بمَا أعدهُ الله لعبـاده الطَّائعينَ وَالعاصينَ، عَلى حدِّ قـوْلِ الله تعالىَ ﴿ أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ ﴾ سـورة النحل (الآية ١) فأمر الله هو الساعة ولم يحن موعدهَا بعد، ومـعَ ذلكَ جاءَ التعبيرُ القرآنى ﴿ أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ ﴾ تعبيرًا عنِ المسْتقبلِ بالماضِى لتأكيدِ الوُقُوع..

وممَّا يدلُّ عَلى أنَّ المرادَ هوَ المسْتقبلُ قولُ الله تعالىَ ﴿ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ ﴾ فالاسْـتعجالُ لا يكـونُ للماضِى لأنـهُ فاتَ وَانتهىَ وَإنمَا يكونُ الاسْتعجالُ للمسْتقبلِ الذِى لَمْ يَقَعْ بَعْد..

---

(١) لمزيد من التفاصيل راجع كتابنا «عالم الغيب فى العقيدة الإسلامية» ط نهضة مصر..

طبع بمطابع دار المعارف